فصل ومن ذلك قوله سبحانه

فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس
أقسم سبحانه بالنجوم في أحوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها و
غروبها هذا قول علي وابن عباس وعامة المفسرين وهو الصواب
والخنس جمع خانس الانقباض والاختفا ومنه سمي الشيطان
خناسا لانقباضه وانكماشه حين يذكر العبد ربه ومنه قول أبي هريرة
فانخنست والكنس جمع كانس وهو الداخل في كناسه أي في بيته
ومنه تكنست المرأة إذا دخلت في هودجها ومنه كنست الظبا إذا أوت
إلى أكناسها والجواري جمع جارية كغاشية وغواشي قال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وهذا قول مقاتل
وعطا وقتادة وعنهم قالوا الكواكب تخنس بالنهار فتختفي ولا ترى
وتكنس في وقت غروبها ومعنى تخنس على هذا القول تتأخر عن البصر
تتوارى عنه باختفائها نهارها وفيه قول آخر وهو أن خنوسها رجوعها
وهي حركتها الشرقية فإن لها حركتين حركة بفعلها وحركة بنفسها
فخنوسها حركتها بنفسها راجعة وعلى هذا فهو قسم بنوع من الكواكب وهي
السيارة وهذا قول الفرا وفيه قول ثالث وهو أن خنوسها وكنوسها
اختفاؤها وقت مغيبها فتغيب في مواضعها التي تغيب فيها وهذا قول
الزجاج ولما كان للنجوم حال ظهور وحال اختفا وحال جريان وحال
غروب أقسم سبحانه بها في أحوالها كلها ونبه بخنوسها على ظهورها لأن
الخنوس هو الاختفا بعد الظهور ولا يقال لما لا يزال مختفيا إنه قد خنس
فذكر سبحانه جريانها وغروبها صريحا وخنوسها وظهورها اكتفا
ذكر طلوعها بجريانها الذي مبداه الطلوع فالطلوع أول جريانها

فتضمن

فتضمن القسم طلوعها وغروبها وجريانها واختفاءها وذلك من
آياته ودلائل ربوبيته وليس قول من فسرها بالظبا وبقر الوحش
بالظاهر لوجوه أحدها أن هذه الأحوال في الكواكب السيارة أعظم آية
وعبرة الثاني اشتراك أهل الأرض في معرفته بالمشاهدة والعيان
الثالث أن البقر والظبا ليست لها حالة تختفي فيها عن العيان
مطلقا بل لا تزال ظاهرة في الفلوات الرابع أن الذين فسروا الآية
بذلك قالوا ليس خنوسها من الاختفا قال الواحدي هو من الخنس في
الأنف وهو تأخر الأرنبة وقصر القصبة والبقر والظبا أنوفها خنس
والبقرة خنسا والظبي أخنس ومنه سميت الخنسا لخنس أنفها ومعلوم
أن هذا أمر خفي يحتاج إلى التأمل وأكثر الناس لا يعرفونه وآيات الرب
التي يقسم بها لا تكون إلا ظاهرة جلية يشترك في معرفتها الخلائق
وليس الخنس في أنف البقرة والظبا بأعظم من الشمم والفطس عند
في أنف ابن آدم فالآية فيه أظهر الخامس أن كنوسها في أكنتها ليس
بأعظم من دخول الطير وسائر الحيوانات في بيوته الذي يأوي فيه ولا أظهر
منه حتى يقع القسم السادس أنه لو كان جمعا للظبا لقال الخنس
بالتسكين لأنه جمع أخنس فهو كأحمر وحمر ولو أريد به جمع بقرة خنسا
لكان على وزن فعل أيضا كحمراء وحمر فلما جاء جمعه على فعل بالتشديد استحال
أن يكون جمعا لواحد من الظبا والبقر وتعين أن يكون جمعا لخانس
كشاهد وشهد وصائم وصوم وقائم وقوم ونظائرها السابع
أنه ليس بالبين إقسام الرب تعالى بالبقر والغزلان وليس هذا عرف
القرآن ولا عادته وإنما يقسم سبحانه من كل جنس بأعلاه كما أنه لما أقسم
بالنفوس أقسم بأعلاها وهي النفس الإنسانية ولما أقسم بكلامه

Copyright © King Saud University